ISSN 2437-0797
المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية
Dépôt Légale 6799-2015
المجلد 05 العدد 10- ديسمبر2019
تداعيات اغتيال المفتي كحول بن دالي على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والمؤتمر الإسلامي الجزائري 1936- 1939 ص117-134

إسهام "عبد الحميد حاجيات" في التأريخ لسيرة الأمير عبد القادر (1808-1883م)

Abdelhamid HADJIAT's contribution in chronicling the biography of Emir Abdelkader(1808-1883)

الدكتور/ لصر الدين لعوج
جامعة سيدي بلعباس- الجزائر
yobi_salah@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019-11-01 تاريخ القبول: 2019-11-18 تاريخ النشر: 2019-12-26

ملخص:

ساهم الأستاذ الدكتور " حاجيات" في التأريخ لسيرة الأمير عبد القادر الجزائـــري، بعدما قدم درسا منهجيا للبحث التاريخي، حذر فيه الباحثين من مخاطر مؤلفات سير التـــراجم الأجنبية الكثيرة حول الأمير، وكشف مظاهر زيفها ومغالطاتهـــا في إلصـــاق تهـــم انتمائـــه للماسونية، وأكد على استخلاص سيرته الذاتية من خلال إنتاجه الأدبي والفكري، حيث أرخ لشخصية الأمير في مرحلة صباه اعتمادا على مذكراته، التي أكد فيها ترعرعه وفق أسس الزاوية القادرية، واستخلص مشاعره من خلال دراسة ديوان شعره، وسعة ثقافته على الآخـــر مـــن خلال كتابه "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل"، ومجموع صفاته الشخصية الأخلاقيـــة الإســـلامية الحميدة من خلال كتابه "المواقف".

الكلمات المفتاحية: حاجيات؛ الأمير عبد القادر؛ السيرة؛ الأدب؛ الفكر؛

Abstract:

Dr."HADJIAT" contributedin chronicling the biography of Emir Abdelkader al-Jazaïri, after he gave a methodological lesson for historical research ,in which he warned the researchers of the dangers of many foreign translated

biographies about the Emir, that are false and misleading relating the Emir to Free masonry, and he assured that he extracted the biography based on Emir Abdelkader's literary and intellectual works, where he chronicled the personality of the Emir during his stage of youth relying on his memoirs, in which he confirmed that he grew up on the teachings of "The Zawya EL KADRIA", and he got inspired through the study of his collection of poems and the amplitude of his intellect on others via his book "Dhikra al-'aqil wa tanbih al-ghafil" and the amount of his good Islamic moral personality traits and manners in his book "EL-MAWAKIF".
Keywords:
HADJIAT ; Emir Abdelkader; biography ; literature; intellect.

مقدمة:

بداية أستسمح القارئ بوقفة احترام وتقدير، وإعجاب واعتراف بالجميل للمؤرخ، المحقق، المترجم، الباحث الأستاذ الدكتور" **عبد الحميد حاجيات**" الغني عن التعريف [1]، الذي يشرف المدرسة التاريخية الجزائرية، ويثري المكتبة التاريخية بإنتاجه العلمي الثري والمتنوع والنافع، ويساهم في بعث تاريخ الجزائر عامة، والتراث الحضاري للمغرب الأوسط الإسلامي الوسيط خاصة [2]، ويقف شامخا إلى جانب قامات المدرسة التاريخية الجزائرية، الذين خاضوا دفاعا مستميتا عن الهوية الوطنية الجزائرية العربية الإسلامية بإحياء ذاكرتها التاريخية، والدفاع عنها من المسخ والتشويه.

وفي إطار هذا المسار العلمي الدؤوب والمستمر للأستاذ "**حاجيات**" وانطلاقا من مرحلة تكوينه الأصلي على يد شيوخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي توجت بشهادة الليسانس في الآداب العربية بجامعة الجزائر سنة 1954، إلى تجربته النضالية في صفوف اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، إلى عطائه العلمي والتعليمي المستمر لصالح الجامعة الجزائرية، لم تكن زياراته العلمية إلى جامعة سيدي بلعباس – سواء للمشاركة في الملتقيات أو التكوين في الإشراف والمناقشات لما بعد التدرج – لتمر هكذا دون صدى وتأثير، اخترت أهم هذه

الزيارات بمناسبة مشاركته القيمة في الملتقى الوطني الموسوم: " **التعليم والعلماء في عصر الأمير عبد القادر**" الذي نظمته جامعة سيدي بلعباس بمشاركة مؤسسة الأمير عبد القادر سنة 2001 بمداخلته الموسومة: "**شخصية الأمير عبد القادر من خلال إنتاجه الأدبي**"، حيث لم يكتف الأستاذ " **حاجيات**" بسرد ما ورد في القائمة الطويلة للسير الذاتية للأمير عبد القادر [3]، بل اقترح منهجا تاريخيا جديدا، ونبه إلى المزالق التاريخية الخطيرة في التراجم الأجنبية، ورسم الصورة الحقيقية لشخصية "**الأمير عبد القادر**" معتمدا فقط على إنتاجه الأدبي كمصادر ذاتية نزيهة وموثوقة.

فما هي الحقائق التاريخية التي استخلصها الأستاذ "**حاجيات**" لدراسة سيرة الأمير عبد القادر؟

قدم الأستاذ "**حاجيات**" في بداية مداخلته درسا منهجيا مفيدا للبحث التاريخي الأكاديمي، حيث حذر الباحثين من مخاطر مؤلفات سير التراجم الأجنبية الكثيرة حول الأمير، وكشف مظاهر الزيف والتحريف والمغالطات التي (Azan(Paul تضمنتها هذه السير، وبالخصوص أنموذج دراسة المؤرخ العسكري "**بول آزان**" الموسومة: " الأمير عبد القادر من التعصب الإسلامي إلى القومية الفرنسية" [4]، التي تغنت من جهة بشجاعة ومكامن عبقرية الأمير عبد القادر، لكن ربطتها من جهة أخرى بإيمانه بتياراتها الغربية الفكرية الوطنية والقومية، وأنموذج دراسة "**ياكونو كزافيي** الذي تغنى من جهة بإنسانية الأمير، وألصق به من جهة أخرى تهمة الماسونية [5] ، Yacono Xavier) مستغلا تبادله الرسائل مع "محفل هنري الرابع" عن طريق الجمعية الماسونية بفرنسا غير منتبه أنها كانت ظرفية مناسبة وعرفانا بجهوده في إنقاذ مسيحيي دمشق سنة 1860م مواكبة مع ما قامت به معظم الدول الأوروبية ومنظماتها من تبجيل وتكريم للمنقذ والإنساني "**الأمير عبد القادر**"[6]، كما استهدفت تدشين

المشروع الاستعماري في احتواء تاريخ الأمير باعتباره صديق فرنسا ومحاولة فصله عن مجتمعه وبيئته.

وأوصى الأستاذ "**حاجيات**" الباحثين في مجال الترجمة الاعتماد على مصادر نزيهة، مؤكدا على أهمية الإنتاج الأدبي والفكري لصاحب الترجمة، باعتباره المرآة العاكسة الصادقة لاكتشاف مكامن تصرفات المعني، والتي تلقي الضوء على نفسيته وصفاته، وإزالة الغموض الذي لا يزال يخيم على بعض جوانبها، وتكشف عن ملامح هامة من شخصيته وثقافة عصره، بل وتسمح بتعليل مواقفه المختلفة سواء في السراء أو الضراء، وسواء في مواقفه ضد العدو الاستعماري البغيض، أو الصديق القريب والبعيد: الخائن المتردد أو الأمين الملتزم [7].

وطبق الأستاذ " **حاجيات**" هذا المنهج على "**الأمير عبد القادر** "كنموذج، حيث تدرج في رسم شخصية الأمير أولا من خلال البيئة الفكرية التي نشأ فيها، فاعتبر كل ما تميز به الأمير خلال حياته من جدية وحماس منقطع النظير، وأولوية الطابع الديني في تكوينه الثقافي والعلمي صورة صادقة لعصره، الذي تميز بهيمنة الطرق الصوفية على الحياة الفكرية في الجزائر خاصة والعالم الإسلامي عامة، حيث كان لنشأة الأمير في زاوية أسلافه بالقيطنة ناحية أم عسكر- وهي إحدى زوايا الطريقة القادرية [8] القائمة على خمسة أسس عامة وهي: العلم، الذكر، الزهد، العفو، والتسامح الديني[9] - الأثر البالغ على تكوينه الثقافي والعلمي، وصقل مواهبه لتكوين نواة شخصية كاملة الاستعداد أولا لاستيعاب ثقافة المشرق العربي، والاطلاع على أوضاع المسلمين، والاستفادة من تجاربهم عن كثب في مختلف المجالات الدينية، العلمية، السياسية، الاجتماعية والاقتصادية خلال رحلته الطويلة لمد سنتين بين (1825- 1827م)، رفقة أبيه حيث أقام ثلاثة أشهر في تونس وتعرف على الباي حسين (1824- 1835 م)، الذي اشتهر بتدشين "سياسة الإصلاحات الانفتاحية على الامتيازات الأوروبية عامة والفرنسية

خاصة" [10] ، وساهمت زيارته إلى مصر في تنمية طموحاته لمظاهر النهضة المصرية، التي وضع أسسها "محمد علي باشا" [11]، قبل أن يحل بالحجاز لأداء فريضة الحج، ثم انتقل بعدها إلى بغداد لزيارة قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية، ومنها إلى دمشق [12]، وثانيا الانفتاح على تراث الحضارات الإنسانية، وهو ما يمكن استخلاصه في مؤلفاته خاصة من خلال "**مذكراته**"[13] حول أصول تربيته الروحية الصوفية الإسلامية، وتكوينه العلمي الأصيل، وعلى أساسها يمكن تفسير إيمانه بالجهاد والمقاومة، وتحمل مسؤولية قيادة الجزائريين في مقاومة شعبية منظمة تنظيما شاملا عسكريا وسياسيا وإداريا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، وكانت هذه النشأة الصوفية هي التي جعلت منه ذلك الرجل صاحب الفكر الخصيب[14]، والمواقف الجليلة التي تشهد له بالعظمة في السيف والقلم والإدارة والحياة العامة، كما تفاعل الأمير مع بيئته البدوية، فشب على الفروسية وركوب الخيل والصيد، الأمر الذي انعكس على قوته البدنية والعقلية، وشدة البأس وقوة الصبر، وبساطة الحياة، وجمع كل خصال البدو، إذ اشتهر بعفته وكرامته وشهامته، ولهذا لما سأله بعض أمراء فرنسا خلال مقامه بها عن الفرق بين حياة البدو وحياة الحضر، وهل لإحداهما الفضل على الأخرى، أجاب منتصرا لحياة البدو باسترساله في قصيدته الشهيرة التي استغلها من خلال وصف حياة البدو بحسنها وجمالها وطيب العيش فيها، للرمز عن تعلقه بالوطن الجزائر، بعدما أصبح الشعر الأسلوب المفضل لدى الأمير للتعبير عن مشاعره الوطنية ، قائلا:

*** *يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضر* *** *وعاذلا لحب البدو والقفر*

*** *لا تذممن بيوتا خف محملها* *** *وتمدحن بيوت الطين والحجر*

*** *لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني* *** *لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر*

*** *الحسن يظهر في بيتين رونقه* *** *بيت من الشعر أو بيت من الشعر* [15]

وفي نفس "**المذكرات**" يمكن استقراء أيضا ظروف وأسباب وملابسات قراره الأخير بوقف المقاومة، وتسليم نفسه للعدو[16]، بعد غدر وخيانة المبايعين، ويأسه من أنصاره بقوله:

« *ولا زلت في أيامي كلها أرى المنية ولا الدنية، وأشمر على أقوى ساعد وبنان، وأقضي حق الجهاد بالمهند والسنان، إلى أن فقدت المعاضد والمساعد، وفني الطارف من أموالي والتالد، ودبت إلي من بني ديني الأفاعي، واشتملت علي منهم المساعي، والآن بلغ السيل الزبى، فسبحان من لا يكيده كائد، ولا يبيد ملكه، وكل شيء بائد...* »[17].

يعكس النص بوضوح – ومما لا يدعو للشك – أن وضع السلاح من طرف الأمير عبد القادر في 1847/12/23م لم يكن المراد به أبدا الاستسلام للعدو كما أشيع آنذاك، ويمرره بعض المؤرخين والدارسين والسياسيين حينما يوظفون –Reddition[18] بقصد أو عن غير قصد– مصطلحا فرنسيا مسموما احتوائيا" بمعنى "الاستسلام (

وليس تراجعا عن مبادئه الجهادية التي أكدها من قبل بقوله:

« *أعرف ديني جيدا، وأعرف بأن ساعة واحدة في قتال الكافر أحسن من المكوث في مكة سبعين سنة...*»[19].

وإنما توقيف القتال بعدما تأكد بأن مواصلة الجهاد في هذه الظروف هو بمثابة انتحار شعب بأكمله، بعد رضا بعض أهل الوطن بموافقة النصارى، وانسحاب بعض المساعدين الأقربين للأمير[20]، وبعدما تأكد الأمير من تفاوت القوة بين الطرفين[21] ، ودون أن يعني ذلك التنكر للقضية الوطنية، بل مجرد إبطال عقد البيعة العامة، بعد أن تخلى المبايعون عن طاعته ونصرته، فاختار التزاما بوفائه لوطنه وشعبه إستراتيجية جديدة لمواصلة جهاده بطرق أخرى غير المقاومة المسلحة.

ودرس الأستاذ "**حاجيات**" مشاعر "**الأمير عبد القادر**" وأحاسيسه[22] من خلال "**ديوانه الشعري**"[23]، بعدما أصبح الشعر لدى الأمير الأسلوب المفضل للتعبير عن مشاعره، موضحا خياله الواسع، وشعوره القوي، وعواطفه الإنسانية الجياشة الصادقة، في مختلف المواقف التي صادفها في حياته من أفراح وأحزان، وآلام وشوق، تكشف عن مختلف جوانب شخصيته ليس كفارس وقائد فحسب، وإنما كان أيضا عالما وأديبا، حيث افتخر الأمير بعلمه وشجاعته فأشاد بذلك قائلا: [24]

*** *ونحن لنا دين ودنيا تجمعا* *** *ولا فخر إلا ما لنا يرفع اللوى.*

*** *فإن شئت علما تلقني خير عالم* **** *وفي الروع أخباري غدت توهن القوي.*

*** *ونحن سقينا البيض في كل معرك* **** *دماء العدا والسمر أسعرت الجوى.*

وظل الأمير مخلصا لكل من عاشرهم من الناس والأصدقاء، فقال مثلا في حق سكان مدينة "بروسا" في تركيا التي أقام بها بين (1853-1855م) قبل الاستقرار بدمشق (1855-1883م):

*** *ومن أجلهم حبي لها وتشوقي* **** *وإن غلاء الدار بالجار قد أمسى*

*** *مكارم أخلاق وحسن شمائل* *** *ولين طباع واللطافة لا تنسى*

*** *سقى الله غيثا رحمة وكرامة* *** *أراض بها حل الأحبة من بروسا*

وتوصل الأستاذ "**حاجيات**" من خلال دراسته لرسالة " **الأمير عبد القادر**" إلى نخبة المجتمع الفرنسي بعنوان: "**ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**"[25] ، أن الأمير حاول من خلالها التفتح على حضارة الآخر، وإبراز ثراء الموروث الثقافي العربي والإسلامي، وإلى استخلاص سعة ثقافة

الأمير، ومواقفه من الحضارة الغربية المعاصرة له، ومدى تأثره بما امتازت به من ازدهار علمي واختراعات صناعية، بقوله:

« اعتنى علماء فرنسا ومن حذا حذوهم باستعمال العقل العملي وتصريفه، فاستخرجوا الصنائع العجيبة والفوائد الغريبة فاقوا بها المتقدمين، وأعجزوا المتأخرين، رقوا بها أعلى المراقي، وحصل لهم بها الذكر الباقي(...)، لكنهم أهملوا استعمال القوة النظرية (العقل النظري في معرفة الإله وصفاته وحكمته في خلق السماوات والأرض)... » [26]، وانتصر فيه الأمير عبد القادر للتجديد والإبداع بقوله:

« الأوائل فازوا باستخراج الأصول وتمهيد القواعد، والأواخر بالاستنباط من الأصول وتشييد تلك القواعد وزيادة البناء عليها..» [27]، فتوسع الأمير في الحديث عن العقل كطاقة إبداعية لا حدود لها، ونفّر بالمقابل من التقليد الأعمى، باعتباره أخطر عوامل استشراء البدع والخرافات وترسيخ الأعراف المنحرفة بقوله:

« الأعمى لا يصلح أن يقود العميان (...) بهيمة تقاد أفضل من مقلد يقاد (...) الذي يدعو الناس إلى التقليد المحض مع عزل العقل جاهل... » [28].

لكن الأمير ظل حريصا على توفيقه بين الأصالة والمعاصرة، من خلال تمسكه بالتقاليد الإسلامية السمحة، محاولا تصحيح المفاهيم الخاطئة في عقول الفرنسيين عن البعد الحضاري للإسلام، ورفض كل تعصب ديني وعرقي، بل محاربته لكل مظاهر التقوقع والتزمت، والتطرف والتشدد، وبالمقابل التفتح على الحضارة الإنسانية بغية الالتحاق بركب الدول المتقدمة [29]، بحيث شدد على فضائل الأخلاق الإنسانية الأربع بقوله:

« مرد الأخلاق إلى أربعة أصول: الحكمة، الشجاعة، العفة، والعدل والباقي فروعها..» [30].

وهنا يكشف الأستاذ "**حاجيات**" حذاقته في علم التحقيق، حين أكد على حقيقة تاريخية جوهرية في شخصية الأمير – من خلال المقارنة بين الكتاب المخطوط [31]، والكتاب المطبوع [32]، حيث حذفت من المطبوع جملة أساسية في إبراز شخصية الأمير وهي:

« ومن تعرى عن هذه الأربعة كلها، واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين العباد، ويطرد من البلاد ...»، وهي تعكس ما اتصف به الأمير من حزم وصرامة في تطبيق الشريعة، دون أن تتناقض وإنسانيته [33]، حيث أكد على العامل الأخلاقي الإنساني محاولا تجريد الاستعمار من مبرراته الأخلاقية والحضارية، التي تتنافى والقيم الإنسانية، ومبادئ التسامح بين مختلف الشرائع على اعتبار أن الديانات السماوية واحدة بقوله:

« أساس الديانة وأصولها لا خلاف فيها بين الأنبياء من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فكلهم يدعون الخلق إلى توحيد الإله وتفضيله...» [34].

وانتقل الأستاذ "**حاجيات**" إلى تحليل شخصية الأمير على ضوء كتابه: "**المواقف**" [35]، الذي وضح فيه ضوابط تربيته الصوفية اعتمادا على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واجتهاد فقهاء الأمة الأخيار بقوله:

« كنت مغرما بمطالعة كتب القوم منذ الصبا، غير سالك طريقهم، فكنت أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادة القوم وأكابرهم، يقوم منها شعري، وتنقض منها نفسي...» [36]، ويؤكد في موضع آخر عن التزام الشريعة في تكوينه الصوفي بقوله:

« واحذر أن ترميني بحلول أو اتحاد أو امتزاج، أو نحو ذلك، فإني بريء من ذلك، ومن كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله، واعلم أني قد فهمت ما فهمت أنت وزدت عليه...» [37].

فاستخلص الأستاذ "**حاجيات**"منه مجموع صفاته الشخصية الأخلاقية الإسلامية الحميدة، في مقدمتها: "**الصبر**" [38] ، الذي يتضح من شرحه لقوله تعالى: « وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ » [39]، بتجنبه كل الرذائل، والتغلب على الغرائز الحيوانية، والابتعاد عن النقائص والعيوب، من خلال جهاد النفس وتهذيبها وتزكيتها، ودعوته للتحلي بالقيم السامية النبيلة، على أساس أن الوجود الإنساني ينطوي على بعد روحاني لا يمكن تجاهله،كما اشتهر "**بالإخلاص**" في سائر الأعمال الدينية والدنيوية، و"**الوفاء بالعهد وصدق الوعد**" إلى درجة أكد الأمير على أن:

« *الأسير المسلم إذا سرحه العدو، وشرطوا عليه أن لا يغزوهم، يلزمه الوفاء، وإن قتل المسلم معاهدا فينبغي لأمير المسلمين قتله، ولا يجوز العفو عنه*» [40] ، ومنها مثلا الوفاء المشروط بعهد البيعتين الشهيرتين له بالإمارة الأولى في 03 رجب 1248 هج/ 1832/11/27 م من طرف العلماء والأشراف وأعيان القبائل، بوادي فروحة عند شجرة الدردارة الشهيرة، والثانية في 13 رمضان 1248هج/ 1833/02/04 من طرف عامة الناس في القبائل التي آزرته[41]، وما تشكلانه من رمزية للتواصل التاريخي مع هدي السيرة النبوية الشريفة في بيعتي الرضوان والعقبة الأولى [42] ، بحيث مقابل ما اشترطه على المبايعين للوفاء بتبعات ما يتوجب عليهم من تضحيات بالمال والنفس والنفيس، والطاعة للأمير في العسر واليسر، فرض على نفسه أن يظل ملتزما وفيا بما بويع عليه [43] ، كذلك كان الأمر في الوفاء والالتزام ببنود المعاهدات والاتفاقيات [44]، وتمسكه بالمبادئ الإنسانية، كما يظهر من خلال فتنة سنة 1860 بدمشق، حيث اختلطت الدسائس الأجنبية الفرنسية والروسية والبريطانية مع مختلف الطوائف المتناقضة دينا ومذهبا بين المسلمين السنيين والشيعة، والدروز الذين لا يعرفون دينهم باستثناء

بعض العقلاء، والمسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت ومن تبعهم من موارنة وغيرهم، كما تعارضت حياتهم اليومية تحت الضغوط الاقتصادية، وحالة الجهل الثقافية المطبقة على أغلبهم، في الوقت الذي عجزت الدولة العثمانية الحاكمة عن فرض سيطرتها واستتباب الأمن في أقطارها، فكان مصير بلاد الشام عامة ودمشق خاصة كثرة الفتن الملتهبة بمذابح رهيبة (45).

فتدخل الأمير لحماية المسيحيين ووفر لهم الأمن والطمأنينة، ونجح في رأب الصدع وإخماد الفتنة، وحمى دمشق من ويلات أطماع الاستعمار إلى حين، وقدم للدولة العثمانية عملا جليلا، وخدم الإسلام خدمة مثلى، نال به سمعة كبيرة أثارت الرأي العام الدولي، وعلا شأنه مؤكدا سماحة الإسلام وإنسانيته (46).

وظلت سمة الوفاء في سيرة الأمير لكل ما هو إنساني عامة كما يلاحظ من خلال مراسلاته الخمسين مع حاكم وهران(4) .7(" (*Desmichels*) "الجنرال دي ميشيل "

ولكل ما هو جزائري خاصة، حيث ظل حيّ وهو مبعد عن الجزائر مرتبطا بها، ويبذل كل ما في وسعه للتوسط لبني وطنه سواء المهاجرين معه، أو الذين بقوا في الجزائر كما يلاحظ من خلال رسائله مع قادة الدولة التونسية بين سنوات (1844-1880م) (48) .

وأثارت الأستاذ **"حاجيات"** في دراسة كتاب "المواقف" للأمير مجموعة من الموضوعات أهمها:

- "**قضية الجهاد**" التي اعتبرها أساسية لمزيد من التعرف على شخصية الأمير، عندما شرح الأمير الحديث النبوي الشريف: « *رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر* » (49)، حيث ربط جهاد العدو بجهاد النفس وتهذيبها وتزكيتها، وربط الجهاد ضد المحتل بنصرة العقيدة

وتحرير الوطن، من منطلق ما تفرضه الشريعة الإسلامية من فرض الذود عن الدّين والوطن لرد العدوان التزاما بقوله تعالى:

« وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ الّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنّ اللّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِين » [50].

ومثل الجهاد بهذا المفهوم الروحي عماد مقاومة الأمير برنامجا ومشروعا، المحفز للتضحية والموحد للصفوف، وأساس الانتماء الوطني، والالتزام بأحكام الشريعة، حيث نهى عن الاعتداء والتنكيل، وأوصى بعدم التعرض للشيوخ والأطفال والنساء، أو إتلاف الزرع، وفرض حسن معاملة الأسرى، والجنوح للسلم [51].

- ظاهرة "**التوكل**" [52]، التي طرقها الأمير في شرح قوله تعالى:

«وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » [53] ، وربط التوكل بالثقة والطمأنينة مع الحركة واتخاذ الأسباب [54]، وكأن الأمير دشن بذلك غرس فكرة الروح الإصلاحية لأوضاع الأمة عن طريق تثقيف وتهذيب المسلمين دينيا وأدبيا وعلميا بالرجوع إلى المبادئ الإسلامية البسيطة الأسس والمبادئ انطلاقا من الآية الكريمة:

« إِنّ اللّهَ لَا يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » [55] ، والتي ستكون محاولات تجسيدها في الواقع الجزائري على عاتق "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" التي ستتبناها بين (1931-1956م)، ليتأكد بذلك التواصل الديني والثقافي بين الفكر الإصلاحي بين مرحلة المقاومة الشعبية والحركة الوطنية الجزائرية.

وأكد الأستاذ "**حاجيات**" على تفسير كل هذه الخصائص فقط بتربيته الإسلامية الصحيحة، القائمة أساسا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغلبة الطابع الصوفي عليه [56].

وفي الأخير حسم الأستاذ "**حاجيات**" أن الأمير عبد القادر هو بطل المقاومة الشعبية الجزائرية بدون منازع، وهو رمز شخصية الدولة الجزائرية الحديثة والمعاصرة، وهو بطل رائد من أبطال الإنسانية جمعاء، اكتسب شعبية لا مثيل لها حتى أصبح رجل الساعة، أقنع الجميع بشهامته ونبله، ورباطة جأشه، ورقة مشاعره، ودماثة أخلاقه [57]، قضى خمسين سنة في الحوار وتبادل الرسائل من أجل شرح قضية شعبه وإثبات عدالتها[58].

خاتمة:

نستخلص مدى التفوق الكبير للأستاذ "**حاجيات**" بفضل منهجه في استنطاق مشاعر وأحاسيس وصفات "**الأمير عبد القادر**" من خلال إنتاجه الأدبي والفكري، وإسهامه المميز في التأريخ لسيرة الأمير، الشخصية الأسطورية الأكثر كاريزمية في الجزائر والعالم، التي تمثل الزعامة الملهمة القائدة والفاعلة، كمعلم من معالم الإنسانية عبر العصور.

الهوامش:

1-نصر الدين، بن داوود، الأستاذ عبد الحميد حاجيات ومنهجه في التحقيق والتأريخ، مجلة عصور الجديدة، ع: 3-4، ،
مختبر البحث التاريخي – تاريخ الجزائر- جامعة وهران، الجزائر 2012/2011، ص. ص: 301-314

(2) خالد، بلعربي، الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات ومساهماته في كتابة تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط'
المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد الثالث، جوان 2016، ص . ص 54-66

(3) أهم كتب السير الذاتية للأمير عبد القادر:

* ابن التهامي الحاج مصطفى، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتعليق يحيى بوعزيز، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995.

* أباضة نزار، الأمير عبد القادر العالم المجاهد، ط:1، دار الفكر المعاصر، دمشق 1994.

* إيتيان برونو، عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري، ط:2، المؤسسة الوطنية للنشر والاتصال، الجزائر 2001.

* تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، ط:2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982

* Azan(Paul), L'Emire Abd-El-Kader du fanatisme musulman au patriotisme Français, Hachette, Paris 1925.

* Emerit (Marcel), L'Algérie à l'époque d'Abd-El-Kader, 2º Ed : Bouchéne, Paris 2003.

(4) Azan(Paul), OP cité, P4

(5) حاجيات عبد الحميد،"شخصية الأمير عبد القادر من خلال إنتاجه الأدبي"، مداخلة غير مطبوعة في الملتقى الوطني حول :
" التعليم والعلماء في عصر الأمير عبد القادر" تنظيم جامعة سيدي بلعباس بمشاركة مؤسسة الأمير عبد القادر سنة 2001

(6) التميمي عبد الجليل، الأمير عبد القادر بدمشق (1855-1860)، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 15-16، تونس 1971، ص. ص: 26-34

(7) حاجيات عبد الحميد،"شخصية الأمير عبد القادر من خلال إنتاجه الأدبي"، مداخلة سابقة.

(8) الأمير عبد القادر، مذكرات، تحقيق بناني محمد الصغير، سماتي محفوظ، ألجون محمد الصالح، دار الأمة، الجزائر 1998 ، ص. ص: 27-28

(9) Rinn (Louis), Marabouts et Khouanes, Etude sur l'Islam en Algérie, Libraire de l'académie , Paris 1884, PP 183-184

(10) الجنحاني الحبيب، الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حوليات الجامعة التونسية1969م، ص. ص 8-12 .

(11) بوغوفالة ودان، عبد القادر: عائلته، طفولته، مبايعته سلطانا على العرب، في كتاب الأمير عبد القادر عبقرية الزمان والمكان، تنسيق ودان بوغوفالة، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، طبعة دار الرشاد ، الجزائر 2014 ص. ص: 11-23 مترجمة عن مقال صادر في دورية "المخزن الطريف، في جويلية 1841 دون إمضاء صاحبه.

(12) حاجيات عبد الحميد، الأمير عبد القادر وإنتاجه الأدبي، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، عدد خاص حول الذكرى المائة لوفاة الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص. ص: 81-95

(13) الأمير عبد القادر، مذكرات، مصدر سابق، ص28.

(14) لعوج لصر الدين، تفكير الأمير عبد القادر بين الإيديولوجية والحداثة، في المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، عدد خاص بالفكر الوطني والتحرري عند الأمير عبد القادر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر مارس 2012، ص. ص. ص: 177-188

(15) عبد القادر ، الجزائري، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، القاهرة بدون تاريخ، ص. ص: 15-16

(16) لعوج لصر الدين، ملابسات الأيام الأخيرة لمقاومة الأمير عبد القادر – من خلال أدبيات المخزن المغربي ومذكرات الأمير، في كتاب الأمير عبد القادر عبقرية الزمان والمكان، مرجع سابق، ص. ص: 275-288

(17) الأمير محمد، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج:1، ط: 1، المطبعة التجارية – غرزوني وحاويش- الإسكندرية 1903، ص: 498

(18) الأمير عبد القادر، مذكرات، مصدر سابق، ص. ص: 130-131

(19) Julien (Charles André), Histoire de l'Algérie contemporaine, PUF, Paris 1961, P 195

(20) أمثال: بن عراش ميلود، البركاني اللذين انسحبا واستقرا بمدينة فاس، وغيرهما، ينظر:

Cossé Brissac, Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie,
Larose, Paris 1931, PP 89-90

(21) حاجيات عبد الحميد، مداخلة سابقة

(22) حاجيات عبد الحميد، الأمير عبد القادر وإنتاجه الأدبي، مقال سابق، ص. ص: 81-95

(23) عبد القادر الجزائري، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، مصدر سابق،

(24) نفسه، ص. ص: 3-4

(25) الأمير عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، تحقيق ممدوح حقي، مكتبة الخانجي، دار اليقظة العربية،
بيروت 1966، ألفه الأمير في مقامه في مدينة برسا بتركيا، وقدمه كمساهمة فعلية فكرية لانضمامه لعضوية
"الجمعية الأسيوية" أو" مجمع الخالدين" بباريس.

(26) نفسه، ص. ص: 39-40

(27) نفسه، ص. ص: 101-102

(28) نفسه، ص. ص: 32- 33

(29) حاجيات عبد الحميد، الأمير عبد القادر وإنتاجه الأدبي، مقال سابق، ص. ص: 91-92

(30) الأمير عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، مصدر سابق، ص: 33

(31) ـــــ ـــــ ـــــ ـــــ ـــــ ، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس، رقم 2345، ورقة 9 أ

(32) ـــــ ـــــ ـــــ ـــــ ـــــ ـــــ ، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، المطبوع ، مصدر سابق، ص. ص: 30-32

(33) حاجيات عبد الحميد، مقال سابق، ص. ص: 88-92

(34) الأمير عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، المطبوع ، مصدر سابق، ص: 103

(35) ـــــــ ـــــــ ـــــــ ، المواقف، في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف، تحقيق عبد الباقي مفتاح،

دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر 2005، ألفه الأمير خلال مقامه بدمشق، وهو ثمرة نشاطه التعليمي بها،

وهو عبارة عن أحاديث دينية تنحصر في شرح آية قرآنية أو حديث نبوي، في مختلف المسائل الدينية من

اعتقادية وفقهية وأخلاقية، ويخصص لكل مسألة موقفا من المواقف.

(36) الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف، ج: 1، ط: 1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1996، ص: 46

(37) نفسه، ج: 2، ص: 296

(38) نفسه، ج:1، الموقف 189، ص. ص: 414-416

(39) الآية رقم 127 ، سورة النحل، على رواية ورش، بالرسم العثماني

(40) الأمير عبد القادر، المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد، منشورات دار الحياة، دون طبعة، بيروت، دون تاريخ، ص: 223

(41) إباضة نزار، الأمير عبد القادر العالم المجاهد، ط:1، دار الفكر المعاصر، دمشق 1994، ص: 10

(42) الأمير محمد، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر،مصدر سابق، ص: 101

(43) تشرشل هنري، مصدر سابق، ص. ص: 57-60

(44) ينظر تقديم سعد الله، أبو القاسم لكتاب تشرشل هنري، مصدر سابق، ص: 24-25

(45) المدني أحمد توفيق، الأمير عبد القادر الجزائري وحوادث سوريا المحزنة والدولة العثمانية، مجلة التاريخ،عدد خاص، مرجع سابق، ص. ص: 5-12

(46) Ageron (Charles Robert)' L'Emir Abdelkader souverain d'un royaume arabe d'Orient, In Revue de l'Occident Musulman, N° : spécial, 1970, PP 15-24

(47) ينظر فقط الخمسين رسالة من الأمير عبد القادر إلى ح اكم وهران الجنرال دي ميشيل بين 1833/10/30- 1834

في زوزو عبد الحميد، رسائل الأمير عبد القادر إلى الجنرال دي ميشيل، ط: 1، دار هومة للطبع والنشر والتوزيع،

الجزائر 2011.

(48) براهمة بلوزاع، رسائل الأمير عبد القادر المحفوظة في الأرشيف الوطني التونسي، في بوغوفالة ودان وآخرون،

الأمير عبد القادر عبقرية في الزمان والمكان، مرجع سابق، ص. ص: 221-266.

(49) الأمير عبد القادر، الجزائري، المواقف، ج: 1، الموقف 73، مصدر سابق، ص. ص: 144-146

(50) الآية رقم: 190 سورة البقرة رواية ورش بالرسم العثماني.

(51) إيتيان (برونو)، عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ص: 65

(52) الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف، ج: 1، الموقف: 165، ص. ص: 369-371

(53) الآية رقم 43 ، سورة المائدة، على رواية ورش، بالرسم العثماني

(54) حاجيات عبد الحميد، مقال سابق، ص: 94

(55) الآية رقم: 11، سورة الرعد، على رواية ورش، بالرسم العثماني

(56) حاجيات عبد الحميد، مقال سابق، 92-94

(57) نفسه، ص: 88

(58) Hani (Abdelkader), Correspondances de l'Emir Abdelkader (1833-1883),

1° Ed : Dar el Gharb, Alger 2004, P 09.